

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة الحوادث المؤلمة التي شهدتها مدينة الدار البيضاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أيها الشعب العزيز :

أخاطبك اليوم وأنا حزين كل الحزن، متأسف مستغرب، وأتساءل عن الأسباب العميقة حتى يمكنني أن أبحث عنها معك وباتفاق معك أيها الشعب العزيز كما كان الشأن دائما بينك وبين ملوكك، لنضع الحلول ولنبحث عن الدواء، ولكن كيفما كان عمق المشكل، وكيفما كانت الأحوال، يلزم أن أخاطبك بكل ما يجب من الصراحة.

أيها الشعب العزيز :

إن الكيفية التي عبرت بها عن استيائك ليست طريقة لائقة، ولا كيفية مشرفة، ولا في مستوى تاريخك، ولا في مستوى تفكيرك، ويمكن لي أن أقول لك أيها الشعب المغربي إنني كمواطن أولا، وكوطني ثانيا، استحييت وخفت على سمعة بلادي، ولم أرض أن يستولي على هذا البلد المتحضر قانون الغاب والفوضى، وإني، والحالة هذه، وكيفما كانت الظروف، لا أرى أي مبرر للأحداث التي وقعت بالدار البيضاء، لأنه، بكل اعتزاز وبكل فخر، ويمكن لكل مغربي أن يقولها أمام التاريخ الحاضر والتاريخ المقبل، لا يوجد أي بلد عمل لشعبه مثل ما عمل المغرب، ولا توجد سلطة عليا، بل ولا يوجد حكام يسهرون ليل نهار كما نسهر على مستقبلك وعلى سعادتك، بل لا توجد دولة فوق مستوانا تخصص مبلغا كبيرا من ميزانيتها لتعليم أبنائها وتثقيفهم، وأنت تعرف حالتنا الاقتصادية والمالية ؛ ولكن مع ذلك فإن الدولة تقوم بمجهود كبير حيث إنها تخصص 20 في المائة من الميزانية لتربية أبنائها وتثقيفهم، وإني قد أعطيتك جميع الوسائل المشروعة للتعبير عن حاجياتك. أعطيتك الصحف وحرية التجمع وتعدد الأحزاب والنقابات وتوجت هذه الوسائل كلها بالبرلمان، وأنا أعتبر شخصيا أن لك نوابا في جميع المستويات، نوابا ينطقون بلسانك في الصحف، نوابا يدافعون عن مصالحك في النقابات، نوابا يدافعون عن مصالحك في البرلمان ؛ ورغم هذا كله، ورغم هذا البناء الحضري المتمدن نقف ونشاهد الشعب المعروف برزانته وحكمته يخرج للطرقات ويتظاهر ويتخبط في الأموات وفي الجرحى، بل هناك وقت خرج فيه المتظاهرون وأطلقوا العنان لغرائزهم البهيمية، وأخذوا يسرقون وينهبون غير محترمين الأرواح ولا الممتلكات، فهل هكذا تريد أيها الشعب المغربي أن تربي أبناءك ؟ وهل هذه هي الطريقة التي تريد أن تنال بها مرادك ؟ وهل هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تستعملها لحل مشاكلك أو إسماع صوتك ؟ نعم، إن المشاكل متعددة، وربما يكون مشكل التعليم هو أقرب المشاكل إلى جميع البيوت لأنه يهم مستقبل أبنائها ؛ وأنا كذلك رب بيت وأب أسرة وربما سأكون مقتنعا مثلكم إذا كان أبنائي يتعلمون وسمعت بأنهم سيطردون أو يوقفون عند حد من الدراسة، فمن المعلوم أن هذا الميدان ميدان حساسية، فهل من المعقول أن نخرج أبناءنا إلى الشوارع ونحثهم على عدم التوجه إلى مدارسهم ؟ أو من المعقول أن أول ما نطبع في أذهانهم هو الفوضى والتظاهر ؟ لقد كنت أعتقد شخصيا أننا سنربي أبناءنا على مواجهة المشاكل الحقيقية، لا أن نعلمهم — بمجرد خروجهم إلى معترك الحياة — أن

ينهبوا وأن يكونوا وسيلة للنهب، الحقيقة إن هذا ليس بطريقة ولا وسيلة، كان أسلافنا يقولون إن التربية تسبق الكتاب، ولازالت هذه هي الحقيقة.

فهل يخفى عليكم أيها الآباء والأمهات أن جيلنا هذا سينقرض يوما ما وسيموت وأن هذا الجيل الذي أخرجتموه إلى الشوارع هو الذي سيخلفه ؟ إن الآباء والأمهات الذين دفعوا بأبنائهم إلى الشارع لأجل التظاهر كانوا مخطئين، لأنهم عودوهم الفوضى وقانون الغاب، حذار حذار ! فمن تجرأ لك تجرأ عليك ؛ فأولئك الذين تسببوا في النهب سيصبحون أنفسهم عرضة له في يوم ما.

وأخيرا أتوجه إلى الأساتذة، وأقول لهم إنه من عادة الرجال وعادة المثقفين بالخصوص أن تكون لهم الشجاعة الكافية للتعبير عن أفكارهم، لا أن يستغلوا التلاميذ، ولا أن يتستروا وراء الأطفال، يجب عليهم أن يكونوا رجالا ويخرجوا إلى الميدان، فهم أدرى بأحوالكم والسلطة أدرى بأحوالها ؛ إنهم يوصدون المدارس ويأمرون التلاميذ بمغادرة الفصول للخروج إلى الشوارع للتظاهر.ولماذا لا يخرجون هم أنفسهم بدل أن يخرجوا تلاميذهم، أين هي رجولتكم وشجاعتكم ؟ أين تفكيركم ؟ ولكن اسمحوا لي أن أقول لكم إنه لا أخطر على أي دولة من الشبيه بالمثقف، وأنتم أشباه المثقفين، وليتكم كنتم جهالا.

إن عملا كهذا لا يصدر عن إنسان واع له غريزة وطنية ولا عن مثقف له تفكير عال، بل لا يصدر إلا عن أشباه المثقفين، وأنا أعرف أن الأستاذ الذي قيل فيه «كاد المعلم أن يكون رسولا» لم يكن من هذا النوع ولا على هذا الشكل ؛ أعرف أن أولياءنا يوم أرسلونا إلى الكتاتيب كان لهم التزام حول تربية معينة، التزام حول مبادىء خاصة، حول الثقة المتبادلة، وكأنما يقولون للأستاذ : أنا أربي في البيت وأنت تربي في المدرسة، ليكون هناك انسجام بين البيت والمدرسة.

نعم، أعرف مشاكلكم ومشاكل الأساتذة والمدرسين وأقول لهم كذلك انه كانت لديهم وسائل أخرى ليعبروا بها عن استيائهم، وليست هذه هي، فالدولة كيفما كان الحال غير مستعدة للخضوع لقانون الشارع، وأنا مستعد معكم لأصدع باستنكار المنكر، وأنا أول من يحتج ضده وأنا أول من يحاول أن يحل المشكل، ولكن حينما تنتهك حرمات الأفراد وحرمة الدولة فمن الواجب إذ ذاك أن أغضب غضبا ما بعده من غضب، وقد تساءلت شخصيا بعدما وقعت المظاهرات بالدار البيضاء، بل كنت وقت وقوعها على اتصال مع رجال الأمن المسؤولين وسألتهم كيف يمكن لأربعين ألف تلميذ أن تتظاهر، ولكن لا يمكن للتلاميذ أن يحرقوا السيارات ويذهبوا إلى محطة القطار، وهل التلاميذ، ولا أسميهم طلبة، لأن الطلبة هم الذين يدرسون في الأقسام العليا، وهؤلاء إنما يدرسون في الأقسام الثانوية، فهل التلاميذ هم الذين حاولوا الذهاب إلى السجن المدني قصد إخراج المساجين ؟

الحقيقة أنه بعدما انقضى دور التلاميذ جاء دور آخر، جاء دور المستائين والعاطلين واليائسين، وأعرف قبل أن تقع هذه الفاجعة أن معمل السكر قد اضطر لطرد 900 عامل، وأعرف أن هناك 10.000 عامل طردوا من أعمالهم نظرا للأزمة الاقتصادية، وأعرف أيضا، وكان من المنتظر إذا وقعت مثل هذه الحوادث، أن اليائسين الذين لهم أيضا مسؤوليات لضمان قوت أبنائهم، سينضمون إلى المظاهرة وأن مظاهرتهم ستكتسي صبغة أشد وأقوى وأعنف من مظاهرات التلاميذ، ويمكن لي أن أقول لكم أيها العملة، ويا أيها العاطلون، إن الحالة الاقتصادية للبلاد سبق لي أن شرحتها لكم في خطاب العرش، وقلت بأن إنتاج البلاد وتركيز الأموال الأجنبية غير كاف، وقلت لكم أيضا إن القطاع الصناعي ضعيف، وقلت إن النتائج الفلاحية غير مرضية، قلت هذا

وأكرره، كما قال تشرشيل لشعبه حينما كانت أنجلترا مهاجمة : «لا أعدكم بالمستقبل الزاهر ولا بالأكاذيب بل أعدكم بالحقائق وبالدموع وعرق الجبين»، وأناكذلك أقول لكم ولا أكذب عليكم بأن المستقبل غير زاهر، بل مستقبلنا مستقبل الكد والاجتهاد والعمل المستمر.

يجب أن نفهم أنه بعد عشرة أعوام سيكون عدد سكان بلادنا قد ارتفع من 12 مليون إلى 18 مليون نسمة ولذلك فإن مستقبلنا يتوقف أولا وقبل كل شيء على وضع هذا المشكل نصب أعيننا لأنه مشكل اقتصادي واجتماعي ؛ ولكن إذا ربينا جيل اليوم ليقوم بدوره في المستقبل أحسن قيام، لأنه هو الذي سيكون منه المهندس والأستاذ، فسيتسنى له العمل على حل المشاكل وتجنبها، ولا ينبغي لنا أن ننظر فقط إلى السطحي من الحياة، أقول لكم إن ذلك هو مستقبلنا، حذار حذار ! أن نجابه أبناءنا أول ما نجابههم في الحياة مع عدم النظام ومع الفوضى، فسينقرض هذا الجيل يوما ما.

فحذار حذار ! أن تكون تربيتنا للجيل المقبل تربية فاشلة، كنت أنوي كيفما كان الحال، ولو لم تكن هذه الأحداث، أن أخاطبك أيها الشعب، لأنني إذا وعدت بشيء لا أخلف وعدي، ولقد سبق أن ألقيت خطابا في ثالث مارس بمناسبة عيد العرش، ومن جملة ما قلت فيه أنني ناديت إلى عمل موحد وإلى وحدة الصفوف وكان من المنتظر أن أعطيكم مدلول هذا النداء، ولكن الظروف شاءت أن يكون القسم الأول كله متعلقا بالأحداث التي عشناها أخيرا، والقسم الثاني هو الذي يتعلق بالمستقبل.

فأنا الذي أعيش المشاكل اليومية التي تعانيها الحكومة سواء منها الاقتصادية أم السياسية، أنا الذي أعرف أكثر من كل أحد ما هي الجهود التي ينبغي لها أن تكتل حول هذا البرنامج وحول البلوغ إلى أهدافنا، فإذا كان يوجد شخص ما واع كل الوعي، وفيه إحساس، ويؤمن بضرورة وحدة الكلمة، فهو ملك البلاد.

أقول لك أيها الشعب بكل صراحة كما هي العادة، إنه من واجبي أن أحاول أن أجمع الكلمة وأوحد الصفوف، يمكن لي أن أقول لك ذلك بعدما نقوم بهذه المحاولات وبنية خالصة وبضمير طاهر وباستمرار في العمل.

وإذ ذاك وكيف ما كانت نتيجة محاولتي سأخاطبك وأحيطك علما بذلك، لكي يبقى الحوار مستمراً بيني وبينك، ولكن كيفما كانت الأحوال لا يجدر بك أيها الشعب المغربي، بعد أن هداك الله، أن يزيغ قلبك، ولا تجدر بك في الداخل ولا في الخارج هذه الصبغة التي أضفيتها على نفسك، وهذه الحلة المصطنعة التي ليست بحلتك ومع ذلك ارتديتها.

أنا لست من أولئك الأشخاص الذين يحاولون إيجاد أسباب باردة.

أنا لا أقول لك إن هذه الأسباب جاءت من الخارج أو جاءت من جهة ما.

أقول لك إن هذه الأسباب جاءت منا نحن، فإذا كانت عزيمتنا قوية وعواطفنا راسخة وكان اطمئناننا ثابتا كيفما كانت العواصف و كيفما كانت الزوابع و كيفما كان الوسواس الرجيم فإن ذلك لا ينال ولن ينال أبدا لا من أخلاقنا ولا من طبائعنا ولا من توازننا.

العدو كل العدو، هو الذي يكمن في نفس كل واحد منا، العدو كل العدو للبشر هو نفسه، العدو كل العدو للأمم هو استخفافها بالقيم الحقيقية والمعتركات الحقيقية، وتشبثها بما هو زائل، وما هو زائد، وبهذه المناسبة أتوجه كذلك إلى من منحتموهم ثقتكم وصوتم عليهم وصعدوا إلى البرلمان، أقول لهم كفاكم من القيل والقال،

كفاكم من إلقاء الخطب الفارغة، كفاكم من أن تقولوا لنا المسائل التي لا تثقون بها ولا تؤمنون بها، كفاكم أن تقولوا لنا الاصلاح كذا والاصلاح كذا، والحالة أنكم، بل الجل منكم، ليست له نظرة حقيقية عن الكلام الذي يتشدق به.

إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، فالأمانة ملقاة على عاتقكم، فأنا مؤمن بالديمقراطية وبالنظام الذي اخترتموه كنظام للملكية الدستورية، ولكن أقول لجميع النواب إنني غير متيقن إنكم تؤمنون بها كل الايمان مثلي، إنكم لو كنتم مؤمنين بها في الحقيقة لما ضيعتم أوقاتكم في سفاسف الأمور، لو كان لكم الايمان القوي لوضعتم لنا منذ زمان قوانين وأحكاماً وأعطيتم مثالا على ذلك.

أيها الشعب، منذ وصولهم إلى البرلمان تعطلت مصلحة التشريع، وكذلك المطبعة الرسمية، والجريدة الرسمية لم تصدر فيها إلا ثلاثة قوانين، ونحن الآن في السنة الثانية، فمن المسؤول عن هذا ؟ هل واضع الدستور ؟ أم الموافق عليه ؟ لا، بل المطبق للدستور.

أقول لكم أيها النواب، وأقول لكم أيها المنتخبون، إنكم متشبثون بالحصانة فقط، ومتشبثون بما تتقاضونه كل شهر من الدولة، أطلب منكم أن يكون لكم ضمير مهني كاف لكي تعطوا لتلك الدولة، وذلك الشعب المقابل للشيء الذي تتقاضونه، بل كل واحد منكم لا يفكر في المصلحة، بل يفكر في الشيء الذي يقوله أصدقاؤه.

نعم، إنه لجميل أن يكتب عنكم في الجرائد والصحف ولكن هل تؤمنون بذلك ؟ لا، لا يؤمنون به أيها الشعب رغم هذا كله، ورغم أن الحالة الاقتصادية لا تبشر بالخير.

ولنرجع إلى مشاكل الدار البيضاء بالخصوص، فرغم الأحداث التي وقعت والتي ذهب ضحيتها عشرات الأشخاص، ورغم تشويه سمعة المغرب، ورغم الحسرة العميقة التي أشعر بها أنا اليوم أمامكم، ورغم تعطل سير المؤسسات الدستورية التي وضعتها ووافقت عليها بحماس رغم هذا كله يجب أن نضع في أذهاننا شيئا واحدا وهو أن الطريق شائك ومتشعب وخطير، إن المعركة معركة طويلة جدا، فإذا التقى جميع الناس ذوي النية الصالحة من رعايا في الشارع، ومن أساتذة في المدارس، ومن عمال في المعمل، ومن برلمانيين في البرلمان، ومن سياسيين في أحزابهم، فإذا خلصت نية هؤلاء وخلصت نية الحسن الثاني كذلك فإننا سنقهر كل الصعاب، ولقد وضعت نيتي أمام الله، وأنك أيها الشعب تعرفني من قديم وتعرف في الجد والاخلاص لا الكذب ولا النفاق، ولو لم أرد لك النظام الديمقراطي ما كنت لأمنحك إياه.

إن أي أحد لم يرغمني على ذلك ؛ وإنما كان التقاء من الجانبين، كانت النية الصالحة منك أيها الشعب ومني أنا ولله الحمد ظاهرة، بقي الوسطاء السياسيون الذين اقتضتهم الظروف والمؤسسات الدستورية، لأضع عليهم السؤال وأقول لهم هل هكذا كنا نتصور أنهم سيقومون باعبائهم ؟ وهل هذا هو الوفاء للديمقراطية ؟ لا، بل هذا هو القضاء عليها.

لا أريد أن تنعكس حالتك النفسية في نشاطك — أيها الشعب — وفي حماسك وفي ثقتك بالمستقبل، فلينعكس عليك الايمان ببلادك، ولتنعكس عليك القوة الروحية التي تستمدها من مقومات هذه البلاد، وليطمئن الجميع من أساتذة وعمال وآباء للتلاميذ أن حقوقهم لن تضيع ولن تضيع، وانهم في أقرب وقت ممكن سيرون النتائج في هذا الباب، وآخر كلام أختم به خطابي هو موعد معكم أيها المواطنون، موعد معك أيها الشعب



العزيز في أقرب وقت ممكن لأعطيك النتائج لمحاولتي كما قلت لك، وخير ما نختم به هذه الكلمة، «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا». والسلام عليكم ورحمة الله.

ارتجل بالرباط

الاثنين 25 ذي القعدة 1384 — 29 مارس 1965